الفصل الثاني
نشأة التنصير

إن الاتصال بين الشرق الإسلامي والغرب الأوروبي النصراني لن ينقطع في القديم ولا العصر الحديث ولكن الاتصال بهذه التبشير المنظم كان عقب سقوط الأندلس عام ١٤٩٢م ومن ثم كان عملاً مخططاً في سبيل الأهداف المتقدمة.

جاء في بحث بعنوان مشروع التبشير ألفه المستر أدوين البروتستاني ونقل عنه محب الدين الخطيب ما يلي: (يقول المؤلف إن تاريخ التبشير إنما يرجع إلى صدر المسيحية ومبتدأ تأسيسها ثم ذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالنصرانية في القرون الوسطى فقال: (إن ريموند لول الأسباني هو أول من تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فتعلم اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين[١].

والذي يهمنا في هذا البحث العصر الحديث دون العصور الوسطى، إذ أن التبشير في العصور الحديثة أثر في حياة المسلمين بكافة أنواعها وظهرت ملامحه في حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والثقافية والتربوية.. الخ وذلك عندما ضعف المجتمع الإسلامي ودب فيه الوهن على أثر سقوط الأندلس في أوربا.

ضعف أمر المسلمين في الأندلس كثيراً واستطاع الأسبان والبرتغاليون بهذا

---

(١) محب الدين الخطيب ومساعد اليافى، الغارة على العالم الإسلامي، الدار السعودية للنشر - الطبعة الثانية جدة ١٣٨٧هـ، ص٨٠.

الإخراج بل أرادوا ملاحقة المسلمين في المغرب وإخراجهم منها وقد تمكنوا من السيطرة على بعض المراكز على شواطئ البحر المتوسط مثل مليلة ووهران كما استولوا على شواطئ المحيط الأطلسي في غرب بلاد المغرب وبعد أن استقروا في هذه المراكز شعروا بعدم إمكانية التوغل نحو الداخل لتمكن المسلمين. وبعد أن ذهبت نشوة النصر المؤقت، ببعض حقدهم رأوا أن الاندفاع في الحروب والمغامرات في القتال لا يجدي شيئاً بلا تخطيط.

بدأوا التخطيط ورأوا أن عليهم:

١- معرفة طرق تجارية غير الطرق التي يسيطر عليها المسلمون وبهذا يصل الأوروبيون إلى الشرق وينافسون المسلمين الذين يفقدون ما يجنونه من أرباح من تجارة لا يسيطرون على طرقها.

٢- بعد الوصول إلى الشرق يجب السيطرة على تلك المناطق لإمكانية التطويق والاستعداد التام لقتال المسلمين.

٣- يجب العمل على نشر النصرانية في البلاد التي يدخلونها وحث النصارى على محاربة الإسلام حرباً لا هوادة فيها.

٤- الاتصال بنصارى الشرق وحضهم على العمل معهم لاجتثاث جذور الإسلام)[١].

حدث هذا في القرن الرابع عشر الميلادي ويعد هذا الأمر هو طلائع التبشير المنظم والمخطط له. وكان الرواد لذلك التبشير المنظم اليهود والنصارى الذين يجيدون اللغة العربية.

كانت البرتغال تتبنى هذه الآراء وتعد لها وكانت قد أرسلت بعض اليهود الذين يجيدون اللغة العربية إلى مصر حيث أظهروا هناك الإسلام وتقربوا من الحكام مستفيدين من أوضاعهم المادية الحسنة فاستطاعوا أن يعرفوا أحوال جيش دولة المماليك أقوى الدول الإسلامية آنذاك وتساعد المسلمين في حروبهم ضد الأحباش والنصارى كما تعرفوا على أوضاع البلاد الداخلية وسرقوا خرائط

(١) محمود شاكر، الكشوف الجغرافية، مرجع سابق، ص٢٥.

البحار عن الملاحة)[١].

(لقد أخرج النصارى المسلمين من الأندلس ولاحقوهم في بلاد المغرب واحتل الأسبان بعض المراكز التي لا تزال بأيديهم إلى الآن وسار البرتغاليون على شواطئ أفريقيا الغربية يحتلون المواقع الهامة والنقاط الحساسة حتى التفوا حول القارة وخرجوا عن المحيط الهندي من جهة الجنوب بينما انطلق الأسبان نحو الغرب بعد أن توقفت عملياتهم في البحر المتوسط وكان يبغون الوصول إلى شرقي بلاد المسلمين ليتمكنوا من حصارهم وإحكام القبضة عليهم وإذ يكون البرتغاليون قد جاؤوهم من الجنوب والأسبان من الشرق والروس الذين كانوا ينازلون المسلمين من الشمال وبقية أوربا ولجت المحيط الأطلسي)[٢].

هذا وقد ارتبطت مؤسسة التبشير بمؤسسة الإستعمار بل أن التبشير كان عين ورحلات استكشافية وطلائع إستعمارية. (من الصعب فصل هذه المرحلة من مرحلة الإستعمار بل ثمة تلازم وترابط بينهما بل ليس هناك تجاوز في اعتبارهما وجهي عملة واحدة. وهذه المرحلة أحياناً سبقت الإستعمار المباشر والاحتلال العسكري وغالباً اكتسبت دفعتها القوية في ظل سيطرته وتحت إرادته ومن ثم يمكن القول أن التبشير يشبه (فصيلة الطليعة) أو الاستطلاع الذي يسبق الإستعمار المباشر والاحتلال العسكري.. فهو عيون للاستكشاف وأوكار للتلصص وخلايا للتجسس، والأهم من ذلك وأخطر أنه أداة لغزو العقول[٣] ودمجها في مذهب من مذاهب المسيحية ولابد من الالتفات إلى أخطر شيء وهو الغزو الفكري وقد كان ولا يزال من أشد أدوات الإستعمار فتكاً في البلاد الإسلامية وفي ثنايا هذا البحث سوف تتضح لنا خطورة هذا الغزو.

وقول الدكتور حسان محمد حسان في موضع آخر (لقد ارتبط التبشير

---

(١) المرجع نفسه، ص٢٥.

(٢) محمود شاكر، المسلمون تحت السيطرة الرأسمالية، مرجع سابق، ص٩-١٠.

(٣) حسان محمد حسان، وسائل مقارنة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص٤٥.

بالإستعمار وتبع ذلك تطويق العالم الإسلامي ومحاصرة أطرافه وخنق ثغوره وقطع اتصالاته وعرقلة أساليب تجارته وهذه المرحلة بدأت قبيل القرن الخامس عشر الميلادي وتصدرها مجموعة من البحارة البرتغاليون والأسبان ومجموعة من التجار ووكلاء الشركات التجارية التي بدأت تلمع نجومها وتمتلئ خزائنها)[١].

ولتنفيذ خطة الاستيلاء على العالم الإسلامي بواسطة الإستعمار والتبشير استولت فرنسا على الجزائر سنة ١٨٤٧م وتونس عام ١٨٨٢م، والمغرب عام ١٩١١م، وبريطانيا تحتل البنغال عام ١٧٥٧م، والبنجاب عام ١٨٤٩م، ونيجيريا عام ١٥٨١م، هذه نماذج من خطة الإستعمار والتبشير لتطويق العالم الإسلامي إذ لم تبق بقعة إلا وللإستعمار والتبشير فيها رأي واحتلال.

والإمبراطورية التي لم تغرب عنها الشمس كانت معظم أملاكها في بلاد المسلمين وصارت بلاد الإسلام والمسلمين (تركات توزع.. وأرزاق تقسم.. وحدود يعاد رسمها.. وبلاد يعاد تخطيطها ودول تقام.. ودول تبقى.. وشعوب تهجر.. وأقليات تستورد..)[٢].

ثم تحتل بريطانيا واحد من أكبر أقطار العالم الإسلامي وبوابة إلى أفريقيا ويعد من أخطر الأقطار مستقبلاً ومن أحسن أقطار العالم الإسلامي موقعاً. وكانت به دولة إسلامية لقد تم استيلاء بريطانيا على السودان عام ١٨٩٨م وبعد عشر سنوات فقط عقد مؤتمر تبشيري بشأن التعليم في أقصى جنوب السودان[٣].

دخل كتشنر وجنده السودان بعد موقعة كرري الشهيرة وقد كرس جهده في الأيام الأولى للقضاء على ما يسمى بآثار (التعصب للمهدية) كما كانت الجمعيات التبشيرية المسيحية مهتمة بالسودان بوجه خاص. إذ رأت في غردون بطلاً مسيحياً قتل في سبيل الدفاع عن المسيحية وكانت راغبة في انتشارها في وادي النيل وحتى قلب القارة الأفريقية وأيدت فكرة قيام حائط صيني عظيم من

(١) حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري، مرجع سابق، ص٣٠.
(٢) المرجع نفسه، ص٤٧.
(٣) السياسة التعليمية والثقافية العربية في جنوب السودان، ص١٨.

الجمعيات التبشيرية يمتد من رأس الرجاء الصالح حتى القاهرة[١].

ويرجع عهد التبشير في بلاد فارس سنة ١٨١١م، وسنة ١٨٣٤م حيث ابتدأ المبشرون الأمريكيون التبشير بين النسطوريين ثم بين المسلمين[٢].

ما تقدم ذكره طريق وصور مختصرة ونماذج لخط سير التبشير الزمني والجغرافي، ومن دراسة تاريخ التبشير تتضح لنا مدى خطورة هذه المؤسسة في تطويق العالم الإسلامي في كل من أفريقيا وآسيا. ويتضح لنا كذلك مدى أهمية دراسة المؤسسة إذ أن الدراسة العلمية الدقيقة تسهل على المختصين منا التصدي لهذه المرحلة.

(١) المرجع نفسه، ص١٧.

(٢) محب الدين ومساعد اليافي، الغارة على العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص٢٢٣